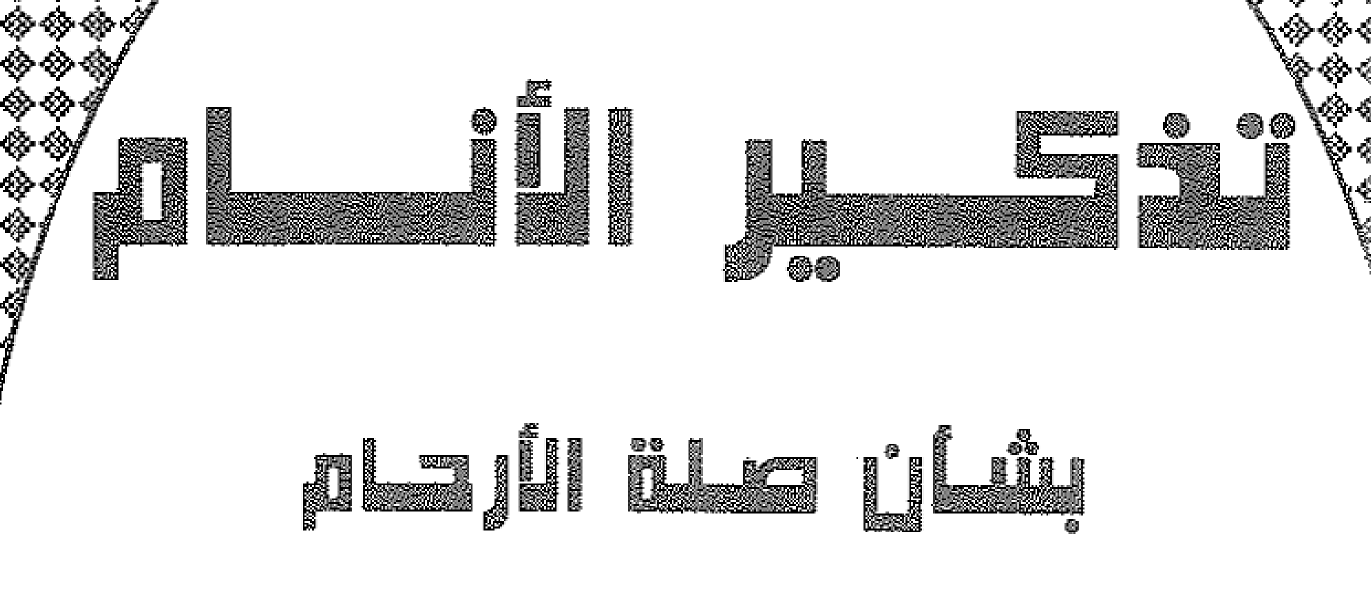


تذكير الأنام

بشأن صلة الأرحام

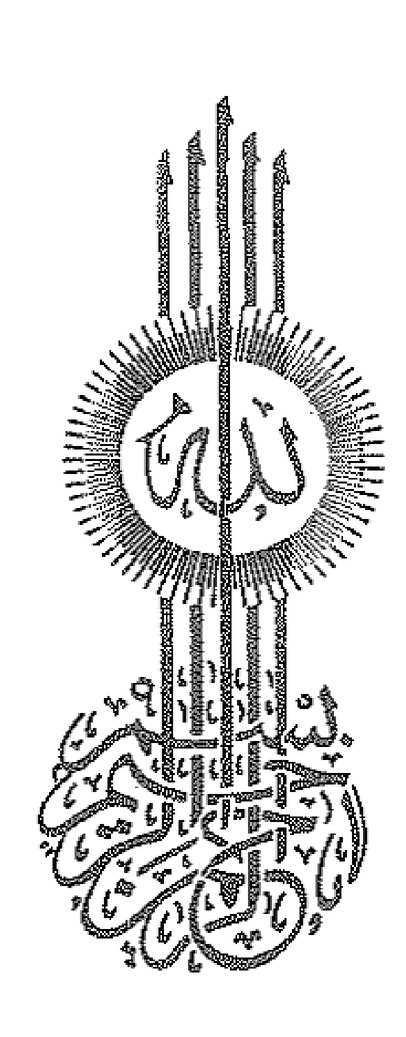
تأليف الشيخ

عبد الله بن صالح القصير

ⓒ دار ابن خزيمة، ١٤١٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القصير، عبدالله بن صالح
تذكير الأنام بشأن صلة الأرحام - الرياض
٤٨ ص؛ ١٧ × ١٢ سم
ردمك ٩-٥٢-٧١٩-٩٩٦٠
١- صلة الرحم ٢- الأخلاق الاسلامية ٣- القرابة
أ- العنوان
ديوي ٢١٢,٥ ١٩/٣٠٨٤

رقم الإيداع: ١٩/٣٠٨٤
ردمك: ٩-٥٢-٧١٩-٩٩٦٠

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ
الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الملك القدوس السلام، أمر بصلة الأرحام، وجعلها من خصال أهل الإسلام؛ الذين وعدهم الجنة دار السلام، وأصلي وأسلم على نبينا محمد أتقى الناس لربه وأوصلهم لرحمه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون .

أما بعد:

فإن صلة الأرحام حاجة فطرية، وضرورة اجتماعية، تقتضيها الفطرة الصحيحة، وتميل إليها الطباع السليمة، فإنه يتم بها الأنس، وتنتشر بواسطتها المحبة، وتسود المودة، وهي دليل الكرم وعلامة المروءة، تُكسب الشخص والعشيرة عزة وهيبة ومنعة .

وفوق ذلك فإنها من أنفس القرب وأجل الطاعات،

وأعلاها منزلة وأعظمها بركة، وأعمها نفعاً في الدنيا والأخرة، ولذلك يتنافس فيها الكرام أولو الأحلام، ويتظاهر بقطيعتها اللئام سفهاء الأحلام مع أن قطيعتها من أفظع أنواع المعاصي قبحاً، وأخطرها شؤماً، وأسرعها عقوبة، وأسوئها عاقبة في العاجل والآجل.

ومع ذلك فإن كثيراً من الناس في هذا الزمن قد قصّروا في صلتها، وتظاهروا بقطيعتها جهلاً بحكمها وغفلة عن حكمتها، أو نسياناً لحقها وتهاوناً بخطر قطيعتها.

ونسبةٌ من الذين يقومون بشيء من الصلة إنما يفعلون ذلك من باب المجاملة أو على سبيل المكافأة، ومع أنهم على شيء من الخير إلا أنه يفوتهم خير كثير وأجر كبير، فقد قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[1].

لذا رأيت أنه من الضروري التذكير بهذا الواجب العظيم

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

والتنبيه بخصوصه لتستقيم النيات وتصلح الأعمال، وتتنوع الصلة وتعم وتتسع. فكتبت هذه النبذة ـ المباركة إن شاء الله ـ عملاً بما كان يأخذه ﷺ على أصحابه عند البيعة وهو «النصح لكل مسلم»[١] وطمعاً في النفع بالتذكير فقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾[٢].

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بها من كتبها، وقرأها، وسمعها، وسعى في نشرها لتعم فائدتها، إنه سميع قريب مجيب كريم، آمين.

عبدالله بن صالح القصير

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧، ٥٨، ٥٢٤، ١٤٠١، ٢١٥٧، ٢٧١٤، ٢٧١٥، ٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦).

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

تعريف ذوي الأرحام

الأرحام جمع رحم، وهو في الأصل مكان تكوين الجنين في بطن أمه، ثم استُعير لقباً للقرابة مطلقاً لكونهم خارجين من رحم واحدة؛ ولأنه من دواعي التراحم بين الأقرباء فصار اسماً لكافة أقارب الشخص؛ كأبيه وأمه، وأخيه وأخته، وابنه وبنته، وكل من بينه وبينهم صلة من هذه الجهات كالأجداد والجدات وإن علَوا، والأبناء والبنات وإن نزلوا، والإخوان والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأبناء الجميع، سواء أكان الواحد منهم قريباً مباشراً أو غير مباشر، محرماً أو غير محرم، كلٌّ له من الصلة بحسب منزلته وحاله وحاجته.

ولما كانت الرحم داعية للتراحم وأصل الناس من رحم

واحدة، قال تعالى مذكِّراً بذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴿١﴾﴾(١).

فذكر سبحانه أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة، وذكَّر به ليعطف بعضهم على بعض ويحثهم على برِّ ضعفائهم، وأخبر أنه سبحانه مراقِب لجميع أحوالهم وأعمالهم.

وفي ذلك إرشاد بمراقبة الرقيب سبحانه وعدم الغفلة عن حقه وحقوق عباده، ومن ذلك مراعاة حق صلة الأرحام لا سيما عند الحاجة، ولذلك كان ﷺ يذكِّر بهذه الآية عند الحاجة؛ ليحث الناس على مواساة أهلها بالصدقة عطفاً عليهم ورغبة في ثواب صلتهم، كما ثبت في صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار (أو العباء) متقلدي السيوف، عامّتهم من مُضر بل كلهم من مضر؛ فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأىٰ بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج؛ فأمر بلالاً فأذّن وأقام فصلىٰ، ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾[1] إلىٰ آخر الحديث في ذِكر خطبته وحثّه الناس علىٰ الصدقة عليهم[2].

قال النووي رحمه الله: وسبب قراءة هذه الآية أنها أبلغ في الحث علىٰ الصدقة عليهم ولما فيها من تأكُّد الحق لكونهم أخوة. فالتذكير بأصل النسب ورابطة القرابة بسببه مما يدعو إلىٰ الصلة ويدفع إلىٰ التعاطف والجود بالخير، ولذلك قال ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم»[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧)، والنسائي (٥/ ٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٧٩)، وأحمد (٢/ ٣٧٤).

معنى صلة الرحم[1]

يقال: وصل رحمه يصلها وصلاً إذا أحسن إلى ذوي رحمه أي قرابته من جهة النسب أو الصهر، كأنه بالإحسان يصل ما بينهم وبينه من علاقة القرابة والصهر، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ الآية[2]؛ فتحصل صلة الرحم بالإحسان إليهم بما تيسر من أنواع الإحسان.

قال ابن أبي حمزة: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء.

---

(١) قال النووي رحمه الله: «هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول؛ فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك» شرح مسلم (٣/ ٢٠١).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

وقال القرطبي: تجب مواصلتها ـ يعني الرحم ـ بالتوادد والتناصح، والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والنفقة على القريب، وتفقُّد أحوالهم، والتغافل عن زلاَّتهم.

ومن صلة الرحم ابتداء زيارتهم، وتتأكد عند المرض أو الحاجة، ومنها تقديمهم على غيرهم في إجابة دعوتهم والبداءة بهم في الدعوة والضيافة، عند قربهم أو كون ذلك لا يشق عليهم ولا يحرجهم.

وكذلك إيثارهم بالإحسان والصدقة والهدية على من سواهم، ودعوتهم وتوجيههم إلى الخير قبل جميع الناس تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[1] واقتداء بالنبي ﷺ في تطبيق هذه الآية حين دعا قرابته وعشيرته؛ فأنذرهم وحثّهم على أن ينقذوا أنفسهم من النار، وأخبرهم أنه لن يغني عنهم من الله شيئاً.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

فنصيحتهم أوجبُ من نصيحة غيرهم في الأولوية، خصوصاً عند فعلهم للمنكر أو تقصيرهم في المعروف، وذلك بحسب الاستطاعة.

ومن صلتهم التلطُّف بهم، ولين الجانب معهم، وإظهار محبتهم، والاجتهاد في إيصال كفايتهم ـ وخصوصاً عند فقرهم ـ وسد حاجتهم، وبذل المعروف لهم بطيب نفس وانشراح صدر. وكذلك المبادرة إلىٰ صلحهم عند اختلافهم والتأليف بينهم، وإعانتهم علىٰ البر والتقوىٰ، وتحذيرهم من الإثم والبغي والعدوان وكل ما يؤدي إلىٰ القطيعة وفساد الدين وإفساد ذات البين.

والمعنى الجامع للصلة: أنها إيصال ما أمكن من الخير إليهم ودفع ما أمكن من الشر عنهم، بحسب الوسع والطاقة، ولكل شخص منهم بحسب منزلته وحاله ومناسبة صلته وتيسُّر ذلك، فقد قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

العناية بصلة الرحم في الكتاب والسنة

لصلة الرحم عناية عظيمة وأهمية وأولية في الذكر من بين سائر الأعمال الصالحة، يقول تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾[(١)] .

وجعل الله تعالى الوصية بصلة الأرحام قرينة الوصية بالتقوى فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[(٢)] أي اتقوا الله تعالى بفعل طاعته وترك معصيته، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن صلوها وبروها، كما قاله ابن عباس وغير واحد من السلف .

فأمر سبحانه بصلة الأرحام بعد أمره بالتقوى، منبِّهاً سبحانه على داعيها وهو ما بين الناس من صلة النسب،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١ .

وليدل على أن صلة الرحم ابتغاء وجهه أثر من آثار التقوىٰ المباركة، وعلامة من علامات تمكنها في القلوب، ودليل على صدق الإيمان؛ فأوصل الناس لرحمه أكملهم إيماناً بربه وأتقاهم له، ولهذا كان ﷺ أوصل الناس لرحمه وأتقاهم له، ولذلك ذكَّرته خديجة بذلك عند أول نزول الوحي حين قال لخديجة وأخبرها الخبر: «إني قد خشيت على نفسي» فقالت: كلا والله ما يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضعيف، وتُعين على نوائب الحق(١).

ولقد كانت الدعوة لصلة الرحم من أوائل ما دعا إليه النبي ﷺ أول بعثته، كما في الصحيح من حديث أبي سفيان مع هرقل حين سأله هرقل قائلاً: فماذا يأمركم؟ ـ يعني النبي ﷺ ـ قال أبو سفيان: قلت: يقول: اعبدوا الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة[١] .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»[٢] . فقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث صلة الرحم من واجبات الإيمان وعلاماته .

وقد رغَّب النبي ﷺ في صلة الرحم ، وحذَّر من قطيعتها بغاية من البيان والوضوح ، مذكِّراً بسرعة ظهور آثار الصلة أو القطيعة على الإنسان وأن ذلك من عاجل الجزاء ، ففي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أسرع الخير ثواباً ، البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة ، البغي وقطيعة الرحم»[٣] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧) .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦١٣٨) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٢) وانظر كنز العمال (٤٥٤٦٥ ، ٤٥٥٤٩) .

وأخرج الإمام أحمد بإسناد رواته ثقات والبزار عن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أربى الربا الاستطالة في عِرض المسلم بغير حق، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن، فمن قطعها حرّم الله عليه الجنة»[١].

وأخرج أبو يعلى بسند جيد عن رجل من خثعم قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك نبي؟! قال: «نعم» قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الإيمان بالله». قلت: يا رسول الله، ثم مَه؟ قال: «ثم صلة الرحم». قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: «الإشراك بالله». قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: «قطيعة الأرحام»[٢].

ففي هذا الحديث التنبيه على أن صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله؛ لأنها من آثار التوحيد ولذلك قُرنت به

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١/ ١٩٠).

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦). وانظر مجمع الزوائد: (٨/ ١٥١).

في الذكر، وعلى أن قطيعة الرحم من علامات نقصه ولذلك ذكرت بعد الشرك الذي هو أكبر الكبائر وأعظم الفساد في الأرض.

ولذلك لما بيَّن ﷺ، كما في الحديث الصحيح، أن صلة الرحم شجنة من الرحمن وأن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله، قال: إقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(١).

وكفى بذلك بياناً لشأن صلة الرحم، وتنبيهاً على منزلتها من الدين، وحثاً على صلتها، وتنفيراً من قطيعتها وتحذيراً من عدم الاكتراث بها. والله المستعان.

---

(١) سورة محمد، الآيات: ٢٢-٢٤.

مراتب ذوي الأرحام في الصلة

قال الإمام النووي رحمه الله: «يُستحب أن تُقدَّم الأم في البر ثم الأب، ثم الأولاد ثم الأجداد والجدّات، ثم الأخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام: كالأعمام والعمات، والأخوال والخالات. ويقدم الأقرب فالأقرب ويقدم من أولي بأبوين على من أولي بأحدهما، ثم بذي الرحم غير المحرم: كابن العم وبنته، وأولاد الأخوال والخالات وغيرهم، ثم بالمصاهرة، ثم الجار، ويقدم القريب البعيد الدار على الجار غير القريب» أ. هـ.

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال ثم من؟ قال: «أمك». قال ثم من؟ قال: «أمك». قال ثم

من؟ قال: «أبوك»(١).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد والإمام أحمد وغيرهما عن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم بالأقرب فالأقرب»(٢).

وفي حديث آخر بنحو ذلك وفي آخره قال ﷺ: «أوصي امرءاً بمولاه الذي يليه، وإن كان عليه منه أذى يؤذيه»(٣).

وفي حديث أبي رمثة الذي رواه الحاكم وغيره، قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ فسمعته يقول: «أمك وأباك، ثم أختك وأخاك، ثم أدناك أدناك»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٨)، وابن ماجه (٢٧٠٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦١) وأحمد في مسنده: (٤/ ١٣١، ١٣٢)، وأنظر السلسلة الصحيحة للألباني: (١٦٦٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٦٥٧) وأحمد في مسنده: (٤/ ٣١١). من حديث أبي سلامة.

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٤٠)، والحاكم (٣/ ٦١١)، وأحمد (٢/ ٢٢٦).

صلة القريب المشرك

لذي الرحم القريب غير المسلم حقٌّ في الصلة ؛ مراعاةً لقرابته بحسب الحال وخصوصاً والدي الإنسان ، فإن حق الصلة لهما والإحسان إليهما حتى ولو كانا غير مسلمين ، فقد قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾(1) الآية .

فقد أمر سبحانه بالشكر للوالدين بعد شكره ومصاحبتهما بالمعروف حتى ولو جاهدا الإنسان على الشرك! غاية ما في الأمر أن الإنسان لا يتبع والديه فيما يدعوانه إليه من باطل ، بل يجب عليه اتباع داعي الحق .

وما ذلك إلا لعظيم حق الوالدين على ولدهما ، كما

---

(١) سورة لقمان ، الآيتان : ١٤ ، ١٥ .

أوضح ذلك النبي ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»(١).

ولذلك لما استفتت أسماء بنت أبي بكر رسول الله ﷺ فقالت: قدمت علىٰ أمي وهي راغبة - أي محتاجة - وفي رواية: مشركة. أفأصل أمي؟ قال ﷺ: «نعم صلي أمك»(٢).

وروىٰ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه دعوة النبي ﷺ لقريش فأنذرهم وفي آخره قال: «فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها»(٣).

وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول: «إن آل بني

---

(١) أخرجه مسلم (١٥١٠)، وأبو داود (١٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٠٤) (٣٤٨).

فلان ليسوا بأوليائي إنما وليَّ الله وصالح المؤمنين»[1] زاد البخاري عن عمرو بن العاص : «ولكن لهم رحمٌ سأبلها ببلالها ، يعني : أصلها بصلتها»[2] وهذا إنما يكون عند الحاجة وفي غير حالة الحرب مع المسلمين .

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) ، ومسلم (٢١٥) .

(٢) البخاري (٥٩٩٠) .

صله بعيد النسب

ولذي الرحم بعيد النسب حقه من الصلة عندما تعرض مناسبة صلته؛ كقدومك على بلده وقدومه بلدك محتاجاً إليك وما أشبه ذلك، فقد تقدم حث النبي ﷺ لأصحابه على الصدقة على وفد مضر لما قدموا عليه ورأى بهم من الفاقة - أي الفقر - ما غيَّر وجهه وأقلقه، فجمع أصحابه وخطبهم وذكَّرهم بما بينهم وبين هذا الوفد من صلة في النسب متقدمة حيث تلا عليهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(١)(٢).

وروى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سبق تخريج قصة وفد مضر صفحة: ١١.

قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط - وفي رواية أخرى: ستفتحون مصر وهي أرض يذكر فيها القيراط - فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً - وفي أخرى: فإن فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً أو قال: صهراً»(١).

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: الرحم التي لهم كونُ هاجر أم إسماعيل ﷺ منهم. والصهر كونُ مارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ منهم».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٣).

صل ذا رحمك وإن قطعك

من نعم الله على عبده أن يكون ذَوُوا رَحِمَهُ مواصلين له، مقدرين لصلته، شاكرين لإحسانه، كافّين لأذاهم عنه؛ لأن ذلك مما يعين على الخير ويشجع على البر والصلة.

ولكن قد يجد بعض الناس جفاء من ذوي رحمه؛ حيث قد يتعمدون قطيعته ويباشرون أذاه ولا يقبلون إحسانه، ولا شك أن ذلك من البلاء العظيم ينبغي للحريص على صلة رحمه أن يصبر عليه ويصل رغم وجوده؛ طمعاً في حسن العاقبة: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١) ورغبةً في عظيم الأجر الذي لا حصر له ولا حساب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.

ومثل هذا البلاء ـ ونسأل الله العافية ـ يُظهِر الله به قصد الإنسان من الصلة لذوي رحمه؛ هل هو المجاملة والمكافأة أم الاحتساب والرغبة في الأجر؟ ولذلك قال ﷺ في الحديث الصحيح: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»(١).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، قال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلَّ(٢)، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»(٣).

وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي ذوي أرحام

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١)، وأبو داود (١٦٩٧).

(٢) أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وذلك لما ينالهم من الإثم العظيم.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).

أصل ويقطعون، وأعفوا ويظلمون، وأحسن ويسيئون، أفأكافئهم؟ قال رسول الله ﷺ: «لا، إذاً تتركون جميعاً، ولكن جُد بالفضل وصلهم؛ فإنه لن يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك»[(١)].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال؟ فقال ﷺ: «يا عقبة، صِل من قطعك، وأعطِ من حرمك، وأعرض عمّن ظلمك». وفي رواية: «واعف عمّن ظلمك»[(٢)].

وقد ورد أن الصدقة على ذي الرحم المضمر للعداوة من أفضل الصدقات، فعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح»[(٣)]. وذلك ـ والله أعلم ـ لأن الصدقة عليه وهو في هذه الحالة دليل الإخلاص، ومن أسباب تأليفه وإزالة السخيمة من قلبه، ودعوته إلى معاودة صلة رحمه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٨).

(٣) أخرجه البيهقي (٧/ ٢٧)، وابن خزيمة (٢٣٨٦).

من فضائل صلة الرحم وعواقبها الحميدة

صلة الرحم عمل صالح مبارك يجلب لصاحبه الخير في الدنيا والآخرة، ويجعله الله به مباركاً أينما كان، ويبارك الله له في كل أحواله وأعماله عاجلاً وآجلاً، وقد دلت على ذلك جملة أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ .

روى أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»(١).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله: من

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧).

وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته»[١].

وفي رواية قالت ـ أي الرحم ـ هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك»[٢].

فواصل الرحم موصول من الله تعالى بكل خير في حياته في دينه ودنياه، وفي آخرته بكريم الجزاء وعظيم الأجر والرضوان من الله.

ومن فضائل هذه الصلة: سعة الرزق وزيادة العمر، وذلك أن الجزاء من جنس العمل، فحيث قام الإنسان بصلة رحمه بالبر والإحسان وما يتيسر له من ألوان الصلة وأنواع الخير فإن الله ـ الكريم الرحمن ـ يصله من رحمته وإحسانه بكثرة في ماله وامتداد في عمره مع البركة في ذلك كله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٣] فإنه سبحانه يرزق من يشاء بغير

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٨)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٢)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

حساب .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يُبْسَطَ له في رزقه، ويُنْسأَ له في أثره، فليَصِلِ رحمه»(١) .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»(٢) .

وفي رواية الترمذي قال ﷺ: «تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر»(٣) . والأثر هو: الأجل، والنسأ معناه: التأخير، أي: يؤخر أجله فيمتد عمره ويزداد .

ففي هذه الأحاديث الصحيحة الثابتة البشارة لمن وصل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧)(٢١) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) (٢٠) عن أنس وأخرجه البخاري (٢٩٨٥) عن أبي هريرة .

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٧٩)، وأحمد (٢/ ٣٧٤) .

رحمه بالبركة في العمر والرزق ومن ذلك طول العمر وسعة الرزق وكثرته؛ حيث يفتح له من أبواب الرزق ما لم يخطر له على بال، ويتهيأ له من أسباب الكسب ووسائله ما لا يدخل تحت الحصر من الحفظ في أسباب الآفات وموجبات التلف والهلكة والعسر والمشقة؛ فإن مَن حفظ الله بطاعته حفظه الله برعايته وعنايته.

ولعل من أهم أسباب ذلك ما يحصل للواصل لرحمه من الدعاء الصالح والثناء الجميل من الأقارب وصالح المؤمنين مع ما للطاعة من أثر محسوس في شرح الصدور وطمأنينة القلب وقوة البدن والعزم على فعل الخير، وكل هذه من أسباب التوفيق وملامح السعادة، وذلك من عاجل بشرى المؤمن، وإلا فما عند الله له من الخير أعظم وأكبر وأبقى.

قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿٦٤﴾ ﴾[1] .

وزيادة العمر زيادة حقيقية حية يدل عليها ما رواه الإمام أحمد بسند رجاله ثقات عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: أن النبي ﷺ قال لها: «إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يُعمِّران الديار، ويزيدان في الأعمار»[2] .

وجاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «لا يَردُّ القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل لَيُحْرَمُ الرزق بالذنب يُصيبه»[3] .

ويروىٰ عن علي رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «من ضمن لي واحدة ضمنت له أربعاً: من وصل رحمه: طال عمره، وأحبه أهله، ووُسِّع عليه في رزقه، ودخل جنة ربه»[4] .

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤ .

(٢) أخرجه أحمد: (٦/ ١٥٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧) .

(٤) انظر المعجم الصغير للطبراني: (١/ ٢٦٧) . والفوائد المجموعة للشوكاني ٢٨٥ .

وروى أبو الشيخ في الثواب عن أنس رضي الله عنه قال: «إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام فينسؤه الله ـ أي يؤخره ـ ثلاثين سنة، وإنه ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيِّره الله إلى ثلاثة أيام»[(١)].

ولا تعارض بين هذه الزيادة المذكورة في الأحاديث وبين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[(٢)] وذلك أن هذه الزيادة تكون بالنسبة لعلم الملَك الموكَّل بالعمر، وأما الأجل الذي دلت عليه الآية فبالنسبة لعلم الله تعالى.

كأن يقال للمَلَك مثلاً: إن عمر فلان مائة سنة إن وصل رحمه وستون إن قطعها. وقد سبق في علم الله أنه يصل رحمه أو يقطعها؛ فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر

(١) أنظر جمع الجوامع للسيوطي (٥٨٦٩). وكنز العمال (٦٩٢٠).
(٢)سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

لا يزيد ولا ينقص ، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقصان ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [1] فالمحو بالنسبة لما في علم الملك ، وأما الذي في علم الله وهو الذي في أم الكتاب فلا محو فيه البتَّة .

ومن أظهر وأنفع الزيادة في العمر التوفيقُ للطاعة عن المعصية ، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة ، وينتفع به كل من له به صلة ؛ كتحصيل العلم النافع وتيسير الخير له ، ونفع الناس والإحسان إليهم ، وبذل المعروف لهم بحيث يبقى له الذكر الجميل ؛ فكأنه لم يمت مع ما يخلفه بعد موته من علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له .

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٩ .

عِظَم الأجر ومضاعفة الصدقة على ذي الرحم

ذووا أرحام الإنسان أولى بخيره وبره وعطفه وإحسانه لقرابتهم منه، وقد قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(١)، كلٌّ على قدر قربه ومنزلته، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن أولى الناس ببره أو حسن صحبته، فقال ﷺ: «أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك»(٢).

فيُعطى كُلٌّ بحسب ما له من الصلة شرعاً فيكون في ذلك عظيم الأجر ووافر الخير، فقد روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين ميمونةً رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة ـ أي جارية ـ لها ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٢) سبق تخريجه صفحة: ٢١.

يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: «أو فعلت ذلك؟» قالت: نعم. قال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك»(١).

وفي حديث زينب الثقفية وقد سألت النبي ﷺ عن الصدقة على الزوج والأيتام في حجرها فقال: «لها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة»(٢).

وروى الترمذي وحسّنه عن سلمان بن عامر أنه ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٦٥٨).

الجنة جزاء صلة الرحم

روىٰ البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»(١) وفي رواية قال: «إن تمسَّك بما أمرته به دخل الجنة».

وروىٰ البغوي في شرح السنة عن النبي ﷺ أن الرحم تُبعث يوم القيامة بلسان فصيح ذلق تقول: اللهم فلان وصلني فأدخله الجنة، وتقول: إن فلاناً قطعني فأدخله النار(٢).

ولقد ذكر الله سبحانه أنه يكرم عباده: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٣)، ومسلم (١٣).

(٢) شرح السنة (١٣/ ٣٠).

أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[١] ، ومن ذلك صلة الرحم فيجمع شمل ذوي الأرحام المؤمنين المتواصلين في الدنيا في الجنة حيث تقر أعينهم وتطيب قلوبهم فيتلذذون بنعمة الاجتماع بالأحباب مع ما هم فيه من النعيم المقيم في جوار الرب الكريم ، ما قال تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾[٢] .

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢١ .

(٢) سورة الرعد ، الآيات : ٢٢ ـ ٢٤ .

خطر قطيعة الأرحام

قطيعة الأرحام كبيرة من كبائر الذنوب التي توعَّد الله القوي العزيز مرتكبَها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، كيف وقد قال الله تعالى للرحم حين عاذت به من القطيعة: «من قطعك قطعته»(١).

فقاطعُ الرحم مقطوع من الله تعالى، ومن قطعه الله جل وعلا فأي خير يرجوه، وأي شر وسوء يأمن منه في عاجل أمره وآجله ما دام متصفاً بقطيعة الرحم؟ فعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من ذنب أحرى أن يُعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»(٢).

وروى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٢)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١).

رسول الله ﷺ: «أسرع الخير ثواباً، البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة، البغي وقطيعة الرحم»(١).

إذا عُلم ذلك فقطيعة الرحم - والعياذ بالله - من أسباب طمس القلوب وعمى البصائر والحرمان من العلم النافع بل ومن كل خير؛ لأنها من الفساد في الأرض الذي حكم الله على أهله باللعن وسوء العاقبة في الحال والمآل، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)﴾(٣).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا ظهر القول، وخزن العمل، وائتلفت الألسن، وتباغضت القلوب، وقطع كل ذي

---

(١) سبق تخريجه صفحة: ١٧.

(٢) سورة محمد، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

رحم رحمه؛ فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم»(١).

وقد ورد أن قاطع الرحم لا يُقبل عمله، فقد روىٰ أحمد بإسناد رجاله ثقات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»(٢).

وقاطع الرحم قد عرَّض نفسه لعدم استجابة دعائه، فقد روي أن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان يوماً جالساً بعد الصبح في حلقة فقال: أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا؛ فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجةٌ أي مغلقةٌ دون قاطع رحم.

وقطيعة الرحم تجعل صاحبها شؤماً علىٰ المجتمع الذي يوجد فيه؛ روىٰ عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه

---

(١) أنظر المعجم الكبير للطبراني: (٦/ ٣٢٣). والكنز (٤٣٨٥٧)، ومجمع الزوائد: (٧/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (٢/ ٤٨٤)، وانظر مجمع الزوائد(٨/ ١٥١).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم»(١).

وثبت في الصحيح أن قاطع الرحم مهدّد بعدم دخول الجنة، فعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»(٢).

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحمه، ومصدق بالسحر»(٣).

تلك جملة من عقوبات قاطع الرحم، أسأل الله تعالى أن يعافينا منها وإخواننا المسلمين، وأن يجعلنا ممن يصلون أرحامهم ابتغاء وجهه وعلى طريقة نبيه محمد ﷺ إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٣) رواه أحمد (٤/٣٩٩)، وابن حبان (٥٣٤٦).

الفهرس

الموضوع	الصفحة



صدر للمؤلف

١ـ اللمع من خطب الجمع ١/ ٣ .

٢ـ الذكرىٰ بخطر الربا .

٣ـ تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ـ تذكرة الصوّام بشيء من فضائل الصيام والقيام وما يتعلق بهما من أحكام .

٥ـ الإشارات إلىٰ جملة من حكم وأحكام وفوائد تتعلق بفريضة الزكاة .

٦ـ زاد الحجاج والمعتمرين من فقه وآداب ذينك النسكين .

٧ـ مختصر زاد الحجاج والمعتمرين .

٨ـ المأثورات من الأذكار والدعوات في الصلوات .

٩ـ شهادة الزور وخطرها .



١٠ـ تذكير الأنام بشأن صلة الأرحام .

١١ـ البيان بشأن أضرار الدخان .

١٢ـ الهدية المرضية بشأن الأضحية .

١٣ـ نصيحة المسلمين بشأن الخدم والسائقين .

١٤ـ نبذة عن زكاة الفطر ـ طبعت على شكل مطوية ،

قريبا تصدر للمؤلف كتب جديدة